نور الطَّرف ونور الظَّرف

«كتاب النورين»

جميع الحقوق محفوظة

الطبعة الأولى

١٤١٦هـ - ١٩٩٦م

مؤسسة الرسالة - بيروت - وطى المصيطبة - مبنى عبدالله سليت
تلفاكس: ٨١٥١١٢ - ٣١٩٠٣٩ - ٦٠٣٢٤٣ - ص.ب: ٧٤٦٠ - برقيا: بيوشران

نور الطَّرف ونور الظَّرف

«كتاب النورين»

لأبي إسحاق إبراهيم بن علي الحُصري القيرواني

تحقيق ودراسة

لينة عبد القدوس أبو صالح

مؤسسة الرسالة

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبيّه الأمين وآله وصحبه الغر الميامين، ومن اهتدى بهديه إلى يوم الدين. وبعد:

فإن لأمتنا الإسلامية تراثاً حضارياً عريقاً في مختلف ميادين العلوم والمعارف، قلّما نجده لدى أمّة أخرى، وإن من واجبنا تجاه هذا التراث الضخم أن نعمل دائبين على استكشاف كنوزه، واستجلاء نفائسه، ومحاولة نشره وفق منهج التحقيق العلمي، لنفيد به أجيال هذه الأمّة، آملين أن تلحق بركب أجدادها وأسلافها.

وقد كنت ممن اجتذبني ميدان تحقيق التراث، تدفعني إلى ذلك رغبة شديدة في أن أسهم في إحياء موات كتاب دفنه ركام الزمان، وغطاه غبار الأيّام، وفاءً بدَيْن العلم، وإدراكاً لأهمية تحقيق تراثنا القيّم، الذي سبقنا إليه العديد من المستشرقين، إلى أن قيّض الله له من سدنة العربية من بزّوا السابقين.

وحبذا لو بذل كل طالب في الدراسات العليا جهده في تحقيق نص من نصوص تراثنا المخطوط، ضريبةً يسدّدها لأمته، ووفاءً بحق هذا التراث الذي ما يزال جزء كبير منه بين مخطوط مهمل أو فقيد مضيّع.

ولقد وقع اختياري على هذا الكتاب «نُور الطَّرْف ونَوْرُ الظَّرْف» لأبي إسحاق الحصري القيرواني، وهو أثر نفيس من آثار المغرب الأدبية لم ينشر من قبل، وهو من أشهر مؤلفات الحصري بعد زهر الآداب، وقد جمع فيه عدداً كبيراً من الأشعار والأخبار والرسائل، مما يعدّ ثروة قيّمة تغني الرواية الأدبية، وتمدها بمعين ثرّ.

وكان مما شجعني على ارتياد هذا البحث عدة أمور:

أولها: رغبتي في تحقيق أثر نادر من التراث، وبخاصة التراث المغربي لقلة ما حقق منه.

ثانيها: العثور على مخطوطة نادرة كاملة لكتاب النورين، طالما بحث عن أمثالها عدد من الباحثين، رغبة منهم في الاطلاع على هذا الكتاب وتحقيقه، ولكنهم لم يعثروا إلاّ على نسختين له، إحداهما في الأسكوريال وفيها نقص كبير، والأخرى نسخة چوتا، وفيها سقط في أوراقها لا يسمح بتحقيق الكتاب كاملاً.

ثالثاً: إشارة أكثر من باحث إلى أن هذا الكتاب هو مجرد اختصار من كتاب الحصري المشهور «زهر الآداب وثمر الألباب»، بينما تبيّن لي من الفهرسة الأولية للمخطوطة أن فيه جزءاً مختصراً من الزهر، ولكن هذا الجزء جاء مختلطاً بالكثير من النصوص والأخبار الجديدة التي لم ترد في الكتاب الأول، وتشكل هذه المادة الجديدة حوالي ثلثي الكتاب.

وقد قمت بمقابلة سائر نصوص النورين الشعرية والنثرية بكتابي الحصري المطبوعين «زهر الآداب وثمر الألباب» و «جمع الجواهر في الملح والنوادر»، وأثبت ما وجدته مشتركاً بينهما في الهوامش، كما أشرت إلى اختلاف الروايات، وأما الذي لم أشر إلى وجوده في الكتابين، فلم يرد فيهما أصلاً.

وهكذا اقتضت طبيعة هذا البحث أن يكون قسمين: الأول دراسة الكتاب، والثاني نصّه المحقّق.

وجاء القسم الأول في أربعة مباحث:

أما المبحث الأول فهو عن عصر المؤلف من النواحي السياسية والثقافية والاجتماعية.

وأما المبحث الثاني فقد أفردته لحياة الحصري، وتناولت فيه اسمه ونسبه ومولده

ونشأته وشيوخه وتلامذته وثقافته، ومكانته الأدبية والعلمية، ثم وفاته. وقد وقفت في هذا المبحث على نص مهم في الذخيرة لابن بسام لم يفد منه باحث من قبل، وهو يكشف عن فترة غامضة في حياة الحصري، وهي فترة نشأته وتلقيه هذه الثقافة الواسعة التي ازدانت بها كتبه ومصنفاته.

وأمّا المبحث الثالث فعن آثار الحصري وأهم مؤلفاته، نحو: «زهر الآداب وثمر الألباب» و«جمع الجواهر في الملح والنوادر» و«المصون في سر الهوى المكنون».

وتناول المبحث الرابع كتاب النورين بالدراسة ، وقد قمت فيه بإثبات نسبة الكتاب إلى الحصري القيرواني، ووصف مخطوطاته، وأهمها المخطوطة النادرة الكاملة للكتاب والتي اعتمدتها أصلاً، ثم عنيت بدراسة مصادر الكتاب المشرقية والمغربية، كما تناولت منهج الحصري في جمع الأشعار والأخبار في كتابه، ثم بيّنت أهم الآراء النقدية التي بثّها متناثرة في تضاعيف هذا الكتاب، والتي تعكس شيئاً عن الاتجاه النقدي السائد في المغرب آنذاك، لأن الحصري يعد من أوائل الذين أسهموا في الحركة النقدية في المغرب.

ثم تناولت في هذه الدراسة أسلوب الحصري القيرواني فيه، واتجاهه البديعي المتأثر بالمشارقة، وتعرّضت أخيراً إلى منزلة كتاب النورين بين كتب المؤلف والكتب المغربية والتراثية المماثلة.

أمّا القسم الثاني من الرسالة فهو نص كتاب نُور الطَّرف ونَوْر الظَّرف محققاً موثّقاً مضبوطاً بالشكل، كما ألحقت به الفهارس الفنية التي تخدم الكتاب وتيسر سبل الإفادة منه.

وأمّا المصادر التي اعتمدتها في التحقيق فهي أمّهات كتب الأدب والمختارات الأدبية والتراجم ودواوين الشعراء، وأهمها: يتيمة الدهر للثعالبي ومؤلفاته الأخرى، وطبقات الشعراء لابن المعتز، والشعر والشعراء لابن قتيبة، والأمالي للقالي، وسمط اللآلىء للبكري، ونهاية الأرب للنويري.. وغيرها.

وأعتقد أني لست في حاجة إلى الإسهاب في وصف المصاعب التي لقيتها في سبيل إنجاز هذا البحث، فمحنة التحقيق معروفة، رازها كل من جرّب هذا الطريق، وأولها صعوبة الحصول على مصوّرات المخطوطات من مكتبات متفرّقة، وقد أعانني على هذا العلاّمة الأستاذ الدكتور فؤاد سزكين فجزاه الله عني كل خير.

وتليها الصعوبة التي يجدها المحقق في استجلاء خطوط المصورات لنقل النص نقلاً أميناً، وصعوبات أخرى متنوعة منها البحث المستمر الشاق في المصادر وأمهات الكتب لتخريج أبيات نادرة قد لا أجدها في مظانها إلاّ بعد لأي وعناء.

وبعد...

فرغم أني لم أدّخر شيئاً من جهد أو وقت في سبيل إبراز هذا الكتاب في المستوى العلمي المنشود، فإني لا أملك إلاّ أن أسجل اعترافي بالتقصير في الوصول إلى ما كنت أطمح إليه، ولكن حسبي أن أجهد جهدي وأبذل ما عندي، وكما قال الحصري:

فإن وقفت بي قدرتي دون همّتي فمبلغُ نفسٍ عذرَها مثلُ مُنْجِحِ

وأخيراً، فإن الواجب يقتضيني أن أتوجّه بجزيل الشكر ووافر التقدير إلى الأستاذ الدكتور محمود الربداوي، الذي كان له فضل الإشراف على هذا البحث، وقد خصّني بضروب من العناية العلمية تمثّلت في متابعته الدقيقة وتوجيهاته السديدة.

كما لا يفوتني أن أتقدم بالشكر الجزيل إلى الأستاذين الجليلين الدكتور مصطفى حسين والدكتور عبد الرحمن الخانجي عضوي لجنة المناقشة كفاء ما بذلاه في قراءة هذه الرسالة، وما سوف يفيداني به من نقدات بنّاءة قيّمة.

والله أسأل أن يخلص نيّتي ويسدد خطاي ....